

التبادل بين الأعمال والحاجات ستوجد لهذا العمل حاجته ، وهذه الحاجة هي وضع الكتب للجمهور

تقى يارينيّه أن عهد الأدب الشعبي قد دنا ، وأعنى بالأدب الشعبي الأدب البليغ المكتمل ، لأنّي أفهم من كُلمة شمس ما يفهمه الله والفلسفة ، أي القسم الأكبر والأهم من البشرية لا ما يفهمه المتطرفون ؛ وإذا لم يطرأ على الأنظمة الحديثة في هذه السنوات المشر ما يعرقل سيرها ، أو يحولها إلى طفيان مؤقت ، فيكون للشعب مكتبته وعلومه وفلسفته وروايته وشعره وأدبه وتاريخه وفنه

فتسأله رينيّه دِهشة : ومن يضع لنا كل ذلك ؟

فيجيبها : الكبار بين العلماء والشعراء ، فكما أن تربية الأمراء والتحدث إلى الملوك والتقرب من رجال البلاط كانت إلى الأُس القريب تمدُّ شرفاً كبيراً فإن تثقيف الصغار والتحدث إلى الوزراء وخدمة الطبقات العاملة ستمد في الغد القريب لا شرفاً كبيراً فحسب ، بل فضيلة عظيمة ، وهكذا يتحول مجد الكتاب من القصور إلى الأكواخ ومن المواسم إلى القرى . وبما أن المبقرية تنجّه بطبيعتها نحو المجد ، فالمجد سيكون ترويض اسم الكتاب في أفواه الملايين من النساء والرجال صغاراً وكباراً . لماذا يؤلف الأديب ويكتب وينظم ؟ ليُقرأ ويُدرك ويُشارك في شعوره وتأثره ، ويُحِبُّ ويُكرِّم ويُطْرَى ، أفليس الأفضل للشاعر أن تنقش منظوماته على صفحات قلوب أربعين مليوناً من أن تُصَفَّ على رفوف ستة آلاف مكتبة ؟ أو لا يفضل الكاتب أن ينتسب إلى هذه الأسرة الكبرى المؤلفة من أربعين مليوناً ، يعيش في أفكارها وتذكاراتها ويقاسمها عواطفها وميولها ، من أن يكون عضواً في مجمع علمي لا يجاوز عدد أعضائه الأربعين ؟ فإنا هو رأيك يارينيّه ؟ ماذا تؤرّين : أن تتردّد منظوماتك في أفواه الملايين من الصغار ، ينشدونها في نهاية كل صلاة أو في أحضان أمهاتهم ، أو أن تطبع وتجلّد بدقّة وجمال ، وتوضع في مكتبة بعض هواة الشعر ؟

فتجيبه : آه ياسيندي ! أوتر أن تردد في أفواه الصغار والوزراء لأنها تكون طبعة شمسية تحتلج بالحياة ، فالمجد الذي لا يدعّمه الود هو حبة لا تنبت ، ونور لا يدنو . وأراذ لامرتين أن يذهب إلى أبعدهم من ذلك في معرفة حقيقة ذوق الشعب وميله الأدبي بواسطة هذه القناة التي نشأت بين

## لامرتين ورينيّه جارد

للسيد اسكندر كرجاج

تابع لما نشر في العدد الماضي

بأسف لامرتين إذ يرى اليأس نجماً على وجه رينيّه ، والأسى يغمر نفسها التواقة إلى إرواء هذا الظمأ الطيب في الناس من يتابع الحبّ والمعرفة . ثم يقول لها : هل وجدت يارينيّه بين كل ما ذكرت لك من الكتب ما يوافق الطبقات العاملة مثلك ؟ فتجيبه : صفحات قليلة ياسيدي ، لأن كل ما في لغتنا كتب لكم ، لذلك يجب أن يخلق الله من يكتب لنا فيقول : لقد حان الوقت الذي يجب أن يكتب فيه لكم يارينيّه ، لأن ارتقاء عقليّة الشعب وبشدة ميله إلى المطالعة سيحملان الكثيرين من الأدباء على تخصيص الوقت الذي يصرفونه في أما كن اللو لوضع الكتب الشعبية . وفضلاً عن ذلك فالارتياح العام إلى اشتداد حركة الصناعة والعمل في البلاد سيدفع الحكومة إلى التوسّع في نشر الإصلاح ودعوة كل من أفراد الأمة إلى القيام بقسطه من خدمتها . وهذا يضاعف عمل الفكر في كل الطبقات الاجتماعية ؛ وبما أن الكتب هي أدوات هذا العمل فيسوضع منها للعَمَّال ما يوافق أيديهم

وقد ازداد عدد الكتاب على ما كان عليه في الماضي زيادة كبرى ، لأن قسماً كبيراً من النفوس المهاجرة استيقظت بعد الثورة واندفع إلى ساحة العمل والانتاج ، ولأن خريجي المدارس العالية تحوّلوا عن خدمة الامبراطورية والدين إلى التوظّف في دوائر الحكومة والاشتغال بالأدب ، فكثرت عدد الكتاب وأصبح ما ينشر في السياسة والشعر والأدب والاجتماع يومياً كافياً لوضع المجلدات الضخمة ، وتراحم هذا العدد الكبير من الأدباء على أبواب الشهرة بحول دون معرفة الباقرة الحقيقيين

لم يعمل رأس الانسان وقلبه فيما غير من عصور الانسانية ما يعملانه في هذا العصر ، فهما كناية عن معملين للأدب دائمى الحركة ، وهذا العمل المتواصل يبحث عن وجهة يتصرف إليها فلا يجيد ، لذلك نراه قلقاً مضطرباً . غير أن العليمة التي أوجدت

التقنين وما أقلهم يننا وأقصر وقهم لمطالعة ، وعدا ذلك فما  
يبقى في النفس بعد مطالعة كل ذلك ؟ غيمة من الألفاظ والخطو  
والأشياء والحوادث والأدوات وغيرها مما يبلبل أرواحنا  
يكفيها ما نعرفه من أسرار حرفنا فلا حاجة بنا الى معرفة أسرار  
حرف الغير !

— وما رأيك في القصائد والملاحم ، كقصائد وملاحم  
هوميروس وفرجيليوس وطاسو تصف مواكب الأبطال  
وقتوحات الشعوب وما قامت بها من الحضارات ودكتسه مرا  
الحصون وأحرقته من المدن وأفتته من الجيوش ؟

— لقد مضت نشوة تلك الأيام ياسيدي . أيام اليونان  
والرومان حيث لم يكن للأمم غير فكرة الاقتتال والتطاحن  
والاعتقاد بكل أشكال الخرافات وبآلهة ومخلوقات تنزل من  
السماء وتحارب مع هؤلاء ضد أولئك ، فالكذب اليوم لا يثق  
كثيراً بخيال الشعراء ، ويريد منهم أن ينشدوا له الحقيقة  
والفضيلة والصلاح ولا يتخلف عن سماعهم ومطالعة منظوماتهم  
— وفي رواية لطيفة رقيقة تتضمن وصف حوادث رجال

ونساء يتحابون ويتخاطبون ويتراسلون ويتواشون ويتخاصمون  
ثم يعودون فيتصالحون ويتشاكرون ، وبعد كثير من المغامرات  
يتزاوجون ليعيشوا أغنياء سعاداء في أحد فنادق لندن أو باريس ؟  
— نكون كمن يقرأ بالصينية أو اليابانية لجهلنا معاني هذه  
الحوادث وأسرارها ، إننا لا نقرأ إلا روايات الخاديات والخائطات  
إذ روعيت في كتابتها شروط الحشمة والأدب كي لا تضطر ربات  
الأولاد إلى زرعها من جيوب البنين والبنات وطرحها في النار  
— ما قولك في هذه القصص الحقيقية البسيطة التي تصف

بيوت الشعب وعاداته واصطلاحاته وميوله وأخلاقه وصدقته وبؤسه  
وسعادته وحوادث أفرادها بلمحة سهلة كلفتها تماهراً ساذجة كتعايره  
— في اعتقادي ياسيدي أن هذه هي الكتب التي تستهوي  
العالم ولا سيما زوجاتهم وبناتهم ، لأن المرأة تمثل كل شعور الأسرة  
فتي قرأت ربة البيت أو ابنته كتاباً ما ، فكأن الأب والأخوة  
فراؤه أيضاً ، فنحن أرواح المسكن ، فنانجه نجه حتى الجدران ،  
إن النفس تهذب في البيت أما العقل فيتوقف في المدرسة

— يجب أن نكون حوادث هذه القصص حقيقية ،  
أليس كذلك ؟

— نعم لأننا نجيا الحياة الحقيقية ، والحقيقة هي شعرنا

الخدم وتعيش مع العمال فاستأنف قائلاً : أنت ياربنيه تعرفين  
أصناف الكتب التي توافق أهل طبقتك وتنطبق على عاداتهم  
وميوهم ، فما هو الكتاب الذي يجب أن يؤلف أولاً للذين لم  
يقرأوا شيئاً أو أنهم قرأوا قليلاً ؟

فتجيبه : لا رأي لي في ذلك إذ لا يتذوق الأدب إلا من  
كان ثقيفاً

— ولكن لا بأس أن تجاوبني عن نفسك ، أي نوع من  
الأدب كان بإمكانه أن يستهويك ويؤثر في نفسك قبل أن تبسر  
لك المطالعة ؟ أهو الفلسفة الدينية والوجدانية التي تصلح لأن  
تكون دستوراً لأفكار البشر وانجيلاً يعبر بأمثال قصيرة سامية  
وجلية كأشعة الشمس ، عن مبادئ العلوم الانسانية الكبرى  
وفضائلها المكلمة بالذكاء والمعرفة على ممر العصور ؟

— هذا لا بأس به ، غير أن برودة الأمثال لا توافق حرارة  
قلوبنا ، فهي كناية عن أفكار تشع فيما نقرأ ، ولكنها فوق  
مستوانا العقلي

هل يرضيك تاريخ علم جليّ العبارة ، رائق الأسلوب ،  
ذو فروع عديدة كأغصان هذه الشجرة التي تسمنا ، تخرج  
فيها الأصول من الأرض ، والجذع من الأصول ، والأوراق  
من الأغصان ، بحيث تستطيعين أن ترافقي بنظرك نشوء كل  
هذه الأسرة البشرية الكبرى من أقدم الأزمنة إلى اليوم بما رافقها  
من ارتقاء وانحطاط ، ومرى سلالات ظهرت ثم انقرضت  
مع أفكارها وأديانها وأنظمتها وفنونها وأعمالها ؟

— هذا لا يرضي إلا الشبان المتعلمين والشيوخ الميالين الى  
أشياء الماضي ، أما سواهم من النساء والمذاري والأولاد فلا  
يميلون إلى مثل هذا الموضوع لارتفاعه عنهم ، فهو يمر أماننا  
كالسيل العظيم بهر عيوننا ويفرق أرواحنا ، لذلك نفضل عليه  
وشلة من ينبوع قريب . إن العظام عظيم ، ولكنه غامض  
كالسما لا يرى فيها سوى النجوم

— ما قولك في كتاب يفسر كل العلوم والفنون بطريقة سهلة  
بسيطة تفهك على كل ما اكتشفه الانسان واخترعه وتصوره  
وحسنه في كل أنواع الحرف والصناعات وغير ذلك مما يريك  
الحقيقة ويهدم كل ما قام حول المعجائب الطبيعية والاصطناعية  
النسوبة الى الرائيات من الأفكار الكاذبة ؟

— لا زال في مكاننا ياسيدي ، فهذا الموضوع لا يهم إلا